



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2020/01/18

المسنة الثانية عشرة - العدد: 4522

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

نبض الطبيعة.. وتفتح الحياة

يؤكد جاهين كيف أن الإيقاع حيوي للطبيعة يجعل الغصن الجاف مثل عود الحطب يتفتح زهورا عجا مع قدوم الربيع

تسلم يا غصن الخوخ يا عود الحطب

ييجى الربيع.. تطلع زهورك عجب

(69/240)

وهو يواصل كما ذكرنا التأكيد على علاقة "حركة" الطبيعة في فصولها المتعاقبة، مع حركة الإنسان في فصوله (أطواره) المتتابة، وأن تناقض الحركتين أو اختلافهما يحدث تناقضا مؤلما يثير جدلا خلافا حتميا لمسيرة النمو (وقد يحتد حتى يصل إلى درجة المرض) تعالوا نرى الاختلاف حتى المواجهة في تناقض يعزى الموت حتى تشعر أنه لا مفر من الإحياء.

دخل الربيع يضحك لقانى حزين

نده الربيع على إسمى لم قلت مين

حط الربيع أزهاره جنبى وراح

وايش تعمل الأزهار للميتين!؟

(24/217)

هنا نقف احتراما لهذا الموت الذى يستقبل الربيع، ويستمتع لندائه ويلمس أزهاره، ثم يعلن عجزه (كنقطة انطلاق جديدة غالبا)، لكنها ليست النهاية، ذلك أننا نلاحظ أن صلاح جاهين وهو يعلن موت قلبه المرحلى، وعجزه عن مواكبة حركة الطبيعة النابضة، لا يستسلم، وما دامت الحركة حتما، فالانتظار صعب، واليأس أيضا كذلك، والنصر فى النهاية لمواصلة النبض، والتجديد، والنمو، الإبداع.

يأسك وصبرك بين إيديك وانت حر

تيأس ما تيأس الحياة راح تمر

أنا دقت مندا ومندا عجبى لقيت

الصبر مر، وبرضك اليأس مر

(95/253)

الحركة والتناقض والديالكتيك:

الحركة هى الحياة، والحركة الحياة هى نتاج الجدل الصعب، الذى لا يفهم إلا بتحمل الغموض المعلن، وكأنه الحيرة، لكنها حيرة الدهشة وليست حيرة العجز، وجاهين إذ يدرك ذلك كأساس للمعرفة،

نبض الطبيعة.. وتفتح الحياة يؤكد جاهين كيف أن الإيقاع حيوي للطبيعة يجعل الغصن الجاف مثل عود الحطب يتفتح زهورا عجا مع قدوم الربيع

علاقة "حركة" الطبيعة فى فصولها المتعاقبة، مع حركة الإنسان فى فصوله (أطواره) المتتابة، وأن تناقض الحركتين أو اختلافهما يحدث تناقضا مؤلما يثير جدلا خلافا حتميا لمسيرة النمو (وقد يحتد حتى يصل إلى درجة المرض)

نلاحظ أن صلاح جاهين وهو يعلن موت قلبه المرحلى، وعجزه عن مواكبة حركة الطبيعة النابضة، لا يستسلم، وما دامت الحركة حتما، فالانتظار صعب، واليأس أيضا كذلك، والنصر فى النهاية لمواصلة النبض، والتجديد، والنمو، الإبداع

يكاد يتعالى على العقل السطحي الذى يلف حول مشكلة جانبية، مثل مشكلة الجبر والاختيار.

لا تُجبر الإنسان ولا تخيره
يكفيه ما فيه من عقل بيحيه

(108/259)

وتكاد القراءة الأولى، ترفض نفى الاحتمالين معاً، ولكن الرؤية الثانية تقول إن العقل يحمل نبض الحركة التى تحدد الخطوة التالية، وفى الحركة يتداخل الجبر والاختيار؛ بحيث يصبح الفصل بينهما، بوصفهما ضدّين، غير ذى موضوع.

وحتى تستمر رحلة الجدل، فلا بد من عمق يُظهر تعقد التوليف وكثافته، فنرى التناقض فى نبضه الجدلى، يعرض فى صورة صريحة، حين يتداخل الموت فى الحياة.

بحر الحياة مليان بغرقى الحياة

(70/240)

فإذا أكملنا الرباعية، رأينا غريقاً لا يستطيع أن يصرخ، يلتمس النجاة فى قارب نجاة، فلا يجد إلا الحب قارباً منقذاً.

صرخت خش الموج فى حلقى ملاه

قارب نجاة! صرخت قالوا مفيش

غير بس هو الحب قارب نجاة

(70/240)

والمعنى السطحي قد يُغلى للوهلة الأولى من قيمة "الحب" كما هو مفهوم شائع كمنقذ من الوحدة، ومهدىء للقلق، ولكنى لا أستطيع أن ألتقط هذا المعنى ليحل محل التداخل الولا فى الرائع فى أول شطر (غرقى الحياة!!)، وفى الوقت ذاته لا أستطيع أن أهمل هذا التتابع الصريح البسيط، وعموماً.. فإن الحب قد يُنظر إليه من أكثر من مستوى؛ فجرعة "الأمن الأساسية" التى تبدأ بها الحياة، أحياناً ما يطلق عليها فى اللغة غير العلمية لفظ الحب والمفهوم الأعمق والعلمى قد يعنى مواصفات فى هذه الجرعة، تفيد إعطاء الغذاء (النفسى) الملائم فى اللحظة الملائمة للحاجة النشطة. فإذا كان هذا هو الأمان من ناحية، وهو هو الحب من ناحية أخرى، اتضح الأمر وتقارب الفهم من المحور الذى ندور حوله، ونحاول تأكيده، فالمسألة هنا مسألة "نوع" الحب الباعث على الثقة، وليس لُصقة (لرقة) الحب الدالة على الجوع والعجز، يؤكد ذلك جاهين فى رباعية أخرى، يتكلم فيها مباشرة هكذا:

ياللى عرفت الحب يوم وانطوى

حسك تقول مشتاق لنبع الهوى

حسك تقول مشتاق لنبع الغرام

دا الحب مين داق منه قطره ارتوى

(81/246)

انظر هنا كيف يحذر من الهوى والغرام فى حين يعلى من قيمة ودوام أى قطرة من قطرة الحب الداعم الرائى الحقيقى، ولا أحسب أن أى عالم نفس يستطيع أن يصف أفضلية وفاعلية نوع "جرعة الأمن الأساسية"، وثبات أثرها، أفضل من هذا الوصف الدقيق. فالمهم هو "النوع" و"الكفاية"، لا الحماسة ولا الكمية، ولعل قدرة صلاح على وصف هذه القطرة، تؤكد ما ذهبنا إليه من افتراض ارتوائه نسبياً منها فى يوم ما، وهو ارتواء باعث على استمرار الحركة الفاعلة المغيّرة، التى تبدو فى كل موقع من رباعياته.

وحتى الصور الطبيعية شبه الساكنة؛ التى تصل إلى الشخص العادى، تصل إلى صلاح مختلفة؛

فيوصلها إلينا فى حركتها الخلاقة المبدعة، انظر إليه وهو يرى النيل، لا كمرآة ساكنة تعكس شمس

الأصيل المذهبة(!!)، ولكن وهو "شغال" ينحت الصخر فيضانا بعد فيضان، وهو لم ينس أن يتقمصه هو

الحركة هى الحياة، والحركة
الحياة هى نتاج الجدل الصعب،
الذى لا يفهم إلا بتحمّل
الغموض المعلّن، وكأنه الحيرة،
لكنها حيرة الدهشة وليس
حيرة العجز

إن العقل يحمل نبض الحركة
التي تحدد الخطوة التالية،
وفى الحركة يتداخل الجبر
والاختيار؛ بحيث يصبح الفصل
بينهما، بوصفهما ضدّين، غير
ذى موضوع

بحر الحياة مليان بغرقى الحياة

عموماً.. فإن الحب قد يُنظر
إليه من أكثر من مستوى؛
فجرعة "الأمن الأساسية" التى
تبدأ بها الحياة، أحياناً ما يطلق
عليها فى اللغة غير العلمية لفظ
الحب

المفهوم الأعمق والعلمى قد
يعنى مواصفات فى هذه
الجرعة، تفيد إعطاء الغذاء
(النفسى) الملائم فى اللحظة
الملائمة للحاجة النشطة. فإذا
كان هذا هو الأمان من ناحية،
وهو هو الحب من ناحية أخرى،
اتضح الأمر وتقارب الفهم من
المحور الذى ندور حوله.

الآخر، ما دام الأمر ”حركة وطبيعة“!! وهو لم يتقمصه ليغرق فيه، أى يختبئ؛ إذ يحتويه، ولكنه يوازي حركته، وهو ذاته من صلبه، فيلتقط صعوبة النحت والتغيير، ويدمى راضيا بشوك الصبر والإصرار .

كأما اشتغلت يا نيل في نحت الصخور
مليون بئونة وألف مليون هاتور
يا نيل أنا ابن حلال ومن خلفتك
وليه صعوبة على بس الأمور
(99/255)

فالحركة عند صلاح جاهين أبدية، وفعلها مؤكد، ونتيجتها الإيجابية محسومة، ومن فرط تقديسه لها، ومساواتها بالحياة ذاتها، كاد يعجز عن التوقف، حتى لو كان ثورا يدور في فراغ، إنه يؤمن بأن مجرد الحركة، هي الضمان الحقيقي لدفع الحياة، حتى أنه يرفض الرفض المتشنج، ويتحمل الاستمرار الواثق من غلبة الحياة) قال بس خطوة كمان وخطوة كمان (فيبدو مطمئنا إلى ”اتجاه الحركة وضمان نتائجها“، فإذا جف بئر الحياة فليكن خارجا عن تقاعسه في دفع عجلتها بالتوقف عن الدوران .

إقنع عُماك يا تور وارفض تلف
إكسر تروس الساقية واشتم وتف
قال بس خطوة كمان وخطوة كمان
يا اوصل نهاية السكة، يألبيز يجف
(37/224)

والبير لا يجف ما دام الثور قد خلع العُصَى واستمر برغم كل شيء!!!
المصارع الطيب:

نهل صلاح من ”جرعة الأمن الأولية“، وفي نفس الوقت لم يُحرم من جرعة التوجس اللازم للتوازن المرحلي، وغلبت عليه في الرباعيات على الأقل جرعة الأمن، حتى كانت هي الصبغة السائدة طول الوقت (بعكس سرور الواقف على سنّه طول الخط: انظر بعد)، وهذه الصبغة السائدة يمكن أن أطلق عليها ”الطيبة النابضة“، تلك التي أعجزته (أكرر: أعجزته) عن القتل، وعن الكره المر، وعن اليأس، وعن الوحدة برغم وجودها جميعا بكل ثقلها وحجمها.

ما هي معركة جاهين في الرباعيات؟

كيف ومتى يطل القتل إن فعل (قارن فيما بعد سيف سرور المُسلط، وسوطه المسموم)؟
معركة جاهين هي جهاد السعى إلى الهارموني والاتساق مع الأنغام⁽²⁾ فهو يقاوم التناثر مع الزمن، في طيبة الذي يقدر الحركة والنض والمسيرة؛ فهو مُنازل ”اليوم الجديد“، بإعلان حرب شريفة، هي حركة الحياة ذاتها بلا نقصان:

من بين شقوق الشيش وشقشقت لك
مع شهقة العصافير وزقزقت لك
نهار جديد أنا.. قوم نشوف نعملية
أنا قلت: يا ح تقتلني.. يا ح اقتلك
(58/234)

فهو مصارع طيب؛ لم يحاول أن يهرب من عدوانه في كأس، ولم يسطح وجوده بإنكار العدوان أصلا (مثل الخيام انظر بعد:)؛ بل لعله أدرك الناس بالطبيعة البشرية الدموية، وهذا ما يجعلنا نحترم طبيعته أكثر؛ فهو واعٍ بالطبيعة الدموية للحياة؛ لكنه يرفض أن يُستدرج ليشترك في معركة دائرة طاحنة حوله؛ لأنه شخصياً كله دم فما الداعي إلى خلق أوهام تتأقضي بيبّر عدوانا قبيحا؟
على رجلي دم.. نظرت له ما احتملت
على إيدي دم.. سألت ليه؟ لم وصلت

المسألة هنا مسألة ”نوع“ الحب
الباعض على الثقة، وليس لفة
(لرفة) الحب الدالة على الجوع
والعجز

باللبي عرفضه الحب يوم

وانطوى

حسك تقول مشتاق لنبع الصوى

حسك تقول مشتاق لنبع الغرام

دا الحب مين حاق منه قطره

ارتوى

يحذر من الصوى والغرام في
حين يعلى من قيمة ودوام أى
قطرة من قطرة الحب الدائم
الرائى الحقيقي

لعل قدرة صلاح على وصفه
هذه القطرة، تؤكد ما ذهبنا
إليه من افتراض ارتوائه نسبيا
منها في يوم ما، وهو ارتواء
باعض على استمرار الحركة
الفاعلة المغيرة، التي تبدو
في كل موقع من رباعياته.

الحركة عند صلاح جاهين
أبدية، وفعلها مؤكد،
وننتيجتها الإيجابية محسومة،
ومن فرط تقديسه لها،
ومساواتها بالحياة ذاتها، كاد
يعجز عن التوقف، حتى لو
كان ثورا يدور في فراغ

على كتفى دم وحتى على راسى دم

أنا كلى دم.. قتلت، ولا اتقتلت

(30/220)

فهو يعترف بعدوانيته وعدوانية الآخرين؛ بصفتها طبيعة بشرية؛ ومع ذلك، ولذلك، لا يستطيع أن يتصور صلاح الأذى التعذيب الفوقى بلا علاقة لأى مخلوق، فما هو لا يفهم كيف يسمح آخر لنفسه أن يعذب آخر.

أنا كل يوم أسمع فلان عذوبه

أسرح فى بغداد والجزاير واتوه

ما اعجبش م اللى يطيق بجسمه العذاب

أعجب من اللى يطيق يعذب أخوه

(31/221)

رؤيته للدم، كانت رؤية داخلية أمينة، حدد بها طبيعة البشر الدامية، ولم يستثن نفسه منها، لم يسقطها كلها بالخارج، مثلما فعل سرور ولم يهرب منها فى الكأس (بعد وضعها أيضا فى الخارج، مثلما دعا الخيام) ولكنه واجهها، ثم استوعبها، ثم عاش لمستواها فحوّرها ووالف بين تناقضاتها؛ ليرفض الإيذاء، دون أن يسطح الطبيعة البشرية بإنكار العدوان أصلا، وقدرة صلاح على عرض هذا الولا، ظهرت قبلا ونحن نرى "بحر الحياة مليان بفرقى الحياة"، ثم تظهر فى أكثر من موضع آخر، فهو يشرب من ينبوع الأمن أو الحياة، فى وسط "لهاليب" العدوان، وهو لم يقصر غرقى الحياة على البشر، بل امتد بحدسه إلى كل الأحياء حتى الخنازير والكلاب، فلزم الفارس يخترق اللهب ويواصل، وقد فعلها صلاح كما نرى، دون تجزىء سطحى، أو شطح هروبي.

ينبوع وفى الحواديت أنا سمعت عنه

إنه عجيب.. وف وسط لهاليب لكنه

شقيت كما الفرسان طريقي... لقيت

حتى الخنازير والكلاب شربوا منه

(32/221)

لاحظ كيف لم يحدد بوجه خاص أى ينبوع هذا، وتركها للقارىء يسقط ما يشاء. وبالطبيعة القوية نفسها يستطيع أن يقولها.. "آه"، دون مظنة ضعف أو استجداء أو استكانة؛ أليس للأسد أن يزرأ؟

يوم قلت آه سمعوني قالوا فسد

ده كان جدع قلبه حديد واتحسد

رديت على اللايمين أنا وقلت.. آه

لو تعرفوا معنى زئير الأسد

(21/216)

إن من القوة أن يسمح للواحد لنفسه أن يقول: آه.. على مسؤوليته، وشتان بين آه الشكوى، وآه

الاستجداء، وآه الوله، وآه السخط، وآه اليأس، وهذه الآه الزئير!!!

.....

ونكمل الأسبوع القادم: الكلمة الصوت.. والكلمة الفعل" (استيعاب العدوان)

إنه يؤمن بأن مجرد الحركة، هى الضمان الحقيقي لدفع الحياة، حتى أنه يرفض الرفض المتشنج، ويتحمل الاستمرار الواصل من غلبة الحياة

معركة جاهين هى جهاد السعى إلى الهارموني والاتساق مع الأنغام (2) فهو يقاتل التناقض مع الزمن، فى طبيعة الذى يقدر الحركة والنضج والمسيرة؛ فهو مُنازل" اليوم الجديد"، بإعلان حرب شريفة، هى حركة الحياة ذاتها بلا نقصان

لم يحاول أن يهرب من عدوانه فى كأس، ولم يسطح وجوده بإنكار العدوان أصلا (مثل الخيام انظر بعد:)؛ بل لعله أدرى الناس بالطبيعة البشرية الديموية، وهذا ما يجعلنا نحترم طبيعته

هو واعي بالطبيعة الديموية للحياة؛ لكنه يرفض أن يستدرج ليشارك فى معركة دائمة طاحنة حوله؛ لأنه شخصياً كله دم فما الداعى إلى خلق أوهام تتناقض بربور عدواننا قبيحا؟

إن من القوة أن يسمح للواحد لنفسه أن يقول: آه.. على مسؤوليته، وشتان بين آه الشكوى، وآه الاستجداء، وآه الوله، وآه السخط، وآه اليأس،

- [1]المقتطف من كتاب "رباعيات ورباعيات" (الطبعة الأولى 1979، والطبعة الثانية 2017) والكتاب متاح فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصحّة النفسية شارع 10، وفى مركز الرخاوى: 24 شارع 18 من شارع

9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا بموقع المؤلف www.rakhawy.net وهذا هو الرابط - [2]قارن أنغام التكية ورقص الطبيعة، وإيقاعها فى ملحمة حرافيش نجيب محفوظ، كما وردت فى نقد المؤلف الملحمة: قراءات فى نجيب محفوظ، (فصل دورات الحياة وضلال الخلود، ملحمة الموت والتخلق "فى الحرافيش"، ص19 - 651)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD180120.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2020 1 "شبكة العلوم النفسية العربية" (الاصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعها التاسعة عشرة وتدخل عامها العشرون من التأسيس

19 عاما من الضج... 17 عاما من التواصل "

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

*** **

موسسة العلوم النفسية العربية

معاً... نذهب أبعد

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2020

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

اشتراكات عضوية مدفوعة لدعم المؤسسة

اشتراكات العضوية بالدفع الإلكتروني

1 - عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3

2 - عضوية "الشريك الفخري الماسي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3

3 - عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3

- اشتراكات العضوية بالتحويل البنكي (بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3)

مرفق رابط مستند الصوية البنكية للموسسة

www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf

- اشتراكات العضوية بالتحويل عن طريق الويسترن يونيون (بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3)

Dr. Jamel TURKY (Sfax - TUNISIA)

ARABPSYFOUND President